الحرب العظمى من خلال يوميات خليل السكاكيني (١٨٧٨ ـ ١٩٥٣)*

ماهر الشريف**

تعالج هذه المقالة موقف خليل السكاكيني (١٨٧٨ ـ ١٩٥٣) ـ وهو واحد من أبرز روّاد الحداثة المجتمعية واللغوية في فلسطين ـ من الحرب العالمية الأولى، استناداً إلى اليوميات التي كان يدوّنها.

وتتمحور إشكاليتها حول السؤال التالي: كيف كان صدى الحرب العظمى التي جعلت فلسطين والدولة العثمانية تقفان على مفترق طرق، على مثقف فلسطيني طمح إلى نقل مجتمعه من التقليد إلى الحداثة، وكيف صوّر هذا المثقف أحداث تلك الحرب ومآسيها، وهو الذي اشتُهر بنزعته الإنسانية والعقلانية التنويرية وببعده عن التعصب؟

تتوافر للباحث مصادر لا بأس بها لدراسة تاريخ فلسطين خلال أعوام الحرب العالمية الأولى الأربعة، أذكر منها مذكرات محمد عزة دروزة،[١] وعمر الصالح البرغوثي،[٢] وعيسى العيسى،[٣] وهي كلها منشورة، فضلاً عن مذكرات محمود الأطرش (المغربي) التي نُشرت مؤخراً.

بيد أن أهم مصدرين من هذه المصادر هما، من دون شك، يوميات خليل السكاكيني، ويوميات إحسان حسن الترجمان، الجندي المقدسي في الجيش العثماني.[٤] ومن المعروف أن اليوميات تتميّز من المذكرات، ومن السيرة الذاتية أيضاً، بأن صاحبها يقدم الحدث لحظة وقوعه كما يعيشه، وهو ما أكده خليل السكاكيني بقوله: "استحسنّا اتخاذ اليوميات، فأحسن ما تكون الكتابة إذا كانت من وحي ساعته."

* قُدمت هذه الورقة في مؤتمر "الحرب العظمى في الشرق الأدنى"، الذي نظمه في بيروت، يومَي ٣ و٤ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٤، كل من قسم التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة القديس يوسف، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى، والمعهد الألماني في بيروت، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية.

** باحث فلسطيني.

عن يوميات خليل السكاكيني

خليل السكاكيني واحد من أبرز روّاد الحداثة المجتمعية واللغوية في فلسطين. ولد في القدس في سنة ١٨٧٨، وتوفي في القاهرة في سنة ١٩٥٣. عمل في ميدان التربية والتعليم، ومارس مهنة الصحافة، وقضى أعوام الحرب الثلاثة الأولى في القدس، ثم نُفي إلى دمشق وأودع السجن من ١٤ كانون الأول / ديسمبر ١٩١٧ إلى ١٠ كانون الثاني / يناير ١٩١٨. وبعد الإفراج عنه، عاش في دمشق إلى أن فرّ، في آب / أغسطس ١٩١٨، مع عدد من رفاقه ليلتحقوا بمقر الأمير فيصل في الصحراء.[٥]

بدأ خليل السكاكيني كتابة يومياته، كما يُعتقد، منذ سنة ١٨٩٨، ولم يتوقف عن كتابتها حتى وفاته في مطلع خمسينيات القرن العشرين.[٦] لكن ما وصلنا من يومياته يبدأ في سنة ١٩٠٧، ذلك بأن ما دوّنه قبل هذه السنة، فُقد بحكم تنقله "بين أكثر من قارة وأكثر من بلد، وبحكم تراجيديات فردية وجماعية هي جزء من تشكل شخصيته وتبلورها."[٧] ولم تكن يومياته التي توزعت على يوميات ورسائل وتأملات، مكتوبة بوتيرة واحدة من حيث الطول والاستطراد، إذ نجد فيها يوميات "طويلة وفيها استطراد، خصوصاً حينما يتعلق الأمر بشرح مسألة فكرية أو فلسفية"، ويوميات "بالغة القصر والتكثيف، حيث تقتصر اليومية على بضع جمل سريعة."[٨]

ويشير محرر هذه اليوميات، في تقديمه للكتاب الأول منها، إلى أنه نقلها كما هي "تقديراً منا بأن قيمتها الحقيقية كمادة دراسة وكمصدر معلومات متعدد الجوانب، يتمثّل في نقلها حرفياً"، ويضيف أن التعامل مع المخطوطات كان، على متعته، "شاقاً"، بحكم "خط السكاكيني"، وأن هذه المشقة توزعها أكثر من شخص نتيجة "بُعد الفترة الزمانية وطولها وامتدادها عبر عدة مراحل مهمة في التاريخ الفلسطيني، وتعدد الأمكنة وتوزعها على أكثر من حقبة"، الأمر الذي جعل "التأكد من الكثير من أسماء الأعلام والأماكن مسألة غير سهلة ساهم فيها الكثيرون من تخصصات متعددة بالإجابة عن تساؤلات عديدة، وتقديم المشورة."[٩]

أمّا أهمية يوميات خليل السكاكيني، فتكمن في كونها تمثّل "ثروة معرفية حقيقية بأكثر من معنى، فهي لم تنقل حياة السكاكيني وحدها (وهي حياة ثرية ومتنوعة)، بل نقلت أجواء أكثر من مرحلة مهمة في التاريخ الفلسطيني، من أكثر من زاوية"، وقدمت "تصوّرات مختلفة عن ملابسات تشكّل الهوية الفلسطينية، عن الذاكرة الجماعية والهواجس الوطنية والوجودية في فلسطين في محطات تاريخية حاسمة."[١٠] وعبّرت اليوميات عن ثقافة السكاكيني الواسعة، وعن "التنوع في مطالعاته ومعارفه، وعن النزعة العقلانية التنويرية التي وسمت نشاطه الفكري وسلوكه العملي، وانعكست في آرائه حول المدرسة وأساليب التدريس، وفي تطبيقه الفعلي لهذه الآراء"، كما عبّرت عن "موقفه المتقدم من بعض الظواهر الدينية والاجتماعية والفكرية، ومن بعض أحداث زمنه."[١١]

ومن حيث الشكل، مثّلت هذه اليوميات "شكلاً كتابياً جديداً يستند إلى الكتابة اليومية وإلى الرسائل"، اختلف عن اليوميات العادية المألوفة "التي تُكتب كي تظل سراً حتى الوفاة، أو حتى اقترابها." فقد كان السكاكيني، كما لاحظ زكريا محمد، يعي "وعياً شديداً أنه يكتبها

للنشر في حياته، وقد نشر قسماً منها بالفعل، أي كتاب (سَري) [ولده]. وبذا، فلم يكن يخجل من أي شيء ورد فيها"، فكانت يومياته "كتاباً للنشر، لا بوحاً في العتمة لما لا يمكن البوح به في النور."[١٢] ويقدّر سليم تماري، في الاتجاه نفسه، أن قارئها "يطّلع على يوميات كاتب دوّنها في لحظة معايشته للحدث، وليست كما جرت العادة عند صاحب المذكرات التي يكتبها في كهولته يسترجع فيها ما حدث قبل عقود من الزمن"، ويضيف: "ففيها نجد ذاتية صادقة بمعنيين: ملازمتها لإحساسات الكاتب لحظة تدوينها، ومعاصرتها للحدث حين وقوعه."[١٣]

وفيما يتعلق بلغة هذه اليوميات، فإن محمود شقير يلاحظ أن السكاكيني درج على تدوين يومياته "بأسلوب السرد البسيط المباشر، وبلغة عربية فصيحة متحررة من الزخارف اللفظية، قريبة في الوقت نفسه من نبض الحياة اليومية، ما أكسبها حيوية ووضوحاً وتناغماً مع الموضوعات التي تعبر عنها."[١٤] وقد تبدّى فيها "عمق اهتمام السكاكيني باللغة العربية وتذوّقه لها، وسعة اطلاعه عليها وعلى آدابها من شعر ونثر"، إذ كان "يحرص على تجويد كتابته وعلى تطعيمها بأبيات من الشعر العربي، ومن نظمه ونظم بعض أقرانه من الشعراء، ويحرص أيضاً على الاستشهاد بنصوص من التراث العربي والإنساني، ومن القرآن الكريم والكتاب المقدس."[١٥]

ويتوقف أكرم مسلّم، في السياق نفسه، أمام بعض المفردات التي ابتدعها السكاكيني للتعبير عن بعض الظواهر الجديدة التي تلمّسها، فيكتب: "بإمكانك مثلاً [أيها القارئ]، أن تبتسم عندما تعرف أن المعركة الجوّية سُميت ذات يوم معركة هوائية، وأن الطائرة 'قامت' بدل أقلعت، وأن كرة القدم ليست إلاّ 'الطابة التي تُلعب بالرّجل'، وأن الدروس الخصوصية هي دروس انفرادية، كل هذا في مطلع القرن العشرين، مع الانتباه طبعاً، وأولاً، إلى أن السكاكيني أفلت إلى حد مدهش من اللغة الكلاسيكية المنمقة المحمّلة باشتراطات زمن آخر، ليكتب بلغة تغذيها معرفة ريادية وعميقة وحقيقية بالحياة وبالعصر."[١٦]

أمّا الهدف من وراء كتابة هذه اليوميات، فيلخصه خليل السكاكيني، في يومية كتبها في دمشق في ٢١ نيسان / أبريل ١٩١٨، بقوله: "ربّ سائل يقول: لماذا تكتب هذه اليومية فأقول إن لي في كتابتها أغراضاً عديدة: أولاً، قطع الوقت، أن أجلس وراء طاولتي فأكتب ما يحضرني أحبّ إليّ من التجوّل في الشوارع أو الجلوس في محال القهوة، أو زيارة الناس ممّن لا يفهمونني ولا أفهمهم. ثانياً، تدوين حوادثي وتأثراتي في وقتها واستيعاب ما يمرّ بي من الدروس والعبر. ثالثاً، وهو الغرض الأهم أن تكون يوميتي هذه كتاباً عائلياً أصوّر لهم أيامي في الغربة يوماً فيوماً. ما ألذَّ أن نجلس في المستقبل في ليالي الشتاء فأقرأ على أحبابي أخباري، وأقابلها بأخبارهم التي أرجو أن تكون سلطانة قد تفطّنت لكتابتها يوماً فيوماً. رابعاً، ربما نشطت في المستقبل لوضع كتاب في الحياة أو في أسلوبي، فأجد مواد كثيرة في يوميتي هذه أضمّنها في ما أكتب إن شاء الله...."[١٧]

الحرب العظمى من خلال اليوميات

سأستند في مساهمتي هذه إلى الكتاب الثاني من يوميات خليل السكاكيني، والذي غطى صاحبه، في فصوله الثاني والثالث والرابع، بعض أحداث الحرب العظمى وموقفه منها

وانعكاساتها على فلسطين، لكن بصورة متقطعة، بحيث بقيت فترات طويلة ضمن هذه اليوميات، والتي تبدأ في ١٤ أيلول / سبتمبر ١٩١٤ وتنتهي في ٩ آب / أغسطس ١٩١٨، من دون تغطية.

أمّا الإشكالية التي ستتمحور حولها مساهمتي هذه، فيمكنني صوغها على النحو التالي:

كيف كان صدى الحرب العظمى التي جعلت فلسطين والدولة العثمانية تقفان على مفترق طرق، على مثقف فلسطيني طمح إلى نقل مجتمعه من التقليد إلى الحداثة، وكيف صوّر هذا المثقف أحداث تلك الحرب ومآسيها، وهو الذي اشتُهر بنزعته الإنسانية والعقلانية التنويرية وببعده عن التعصب؟

وعليه، ستنقسم ورقتي إلى قسمين: في القسم الأول سأعرض وصف خليل السكاكيني لما كان شاهداً عليه من أحداث الحرب العظمى وانعكاساتها؛ بينما سأتوقف في القسم الثاني عند موقفه الفلسفي من هذه الحرب.

القسم الأول: انعكاسات الحرب على أوضاع الناس المعيشية وإجراءات التعبئة العامة

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى كان خليل السكاكيني مديراً للمدرسة الدستورية في القدس، ويعطي دروساً خاصة في اللغة العربية لطلبة أجانب. ومع أنه كان يكره الحرب، إلاّ إنه كان ممتناً للتاريخ الذي جعله واحداً من شهودها، إذ كتب في يومية بتاريخ ١١ كانون الأول / ديسمبر ١٩١٤: "مع كرهي للحرب وقلقي ممّا نحن فيه من الضيق وما يتهددنا من الأخطار والمجاعات، فإني مسرور أني أدركت هذا الزمان. إذا قرأ الناس في المستقبل عن حوادث هذه الأيام فإني من شهودها."[١٨]

يلاحظ الباحث، بداية، أن يوميات خليل السكاكيني ركّزت على انعكاسات الحرب العظمى على حياته الشخصية والعائلية والمهنية أكثر من تركيزها على انعكاساتها على حياة سكان مجتمعه. ولعل ما يفسّر هذه الغلبة للشخصي على العام في يومياته، أن السكاكيني هو، في نهاية المطاف، مثقف تنويري، مهموم بنقل مجتمعه إلى الحداثة، وقد صدمته الحرب عندما اندلعت وطرحت عليه العديد من الأسئلة الوجودية. فهو مرّ، على سبيل المثال، بصورة عابرة على حدث كان له آثار كبيرة في حياة الناس في القدس ورسَخ عميقاً في الذكراة الفلسطينية، وهو غزو الجراد فلسطين في سنة ١٩١٥. ففي وصفه لهذا الحدث، اكتفى بالقول: "يوم الاثنين في ٢٢ آذار / مارس [١٩١٥] ظهر الجراد في سماء القدس ماراً من الشمال إلى الجنوب، فهلعت القلوب"[١٩] بينما نجد أن إحسان حسن الترجمان خصص لهذا الحدث حيزاً كبيراً في يومياته،[٢٠] وكذا فعل محمود الأطرش (المغربي)، الذي يكتب عنه في مذكراته: "وممّا زاد في الطين بلة، وفاقم من انتشار المجاعة، زحف جيوش الجراد على فلسطين في أوائل خريف سنة ١٩١٥ على ما أظن، والذي قضى على الكثير من المزروعات. أتذكر مروره فوق مدينة يافا، وقد غشاها من كل صوب كالغيوم المتراكمة التي حجبت عنا الشمس مدة من الزمن. كان بعضه يتساقط في شوارع المدينة، والأولاد يتزاحمون عليه، وبعض الرجال يتلقفه من الهواء ويعطيه للأولاد يلهون به ويلعبون. وقد حلل بعض المشايخ للناس أكله، فكانوا يجمعونه في أكياس ثم يضعونه داخل الماء المغلي في قدور كبيرة حتى ينضج،

ومن ثم يبدأون في أكله، بعدما ينزعون عنه رأسه وجناحيه وأرجله. ومنهم مَن كان يضع معه الخل والزيت والبصل ويأكله." ويتابع الأطرش وصفه، فيكتب: "كان الجنود والشرطة يسوقون الناس عنوة لإبادة أفراخ الجراد. وخصصت الحكومة التركية للمدارس يوماً في الأسبوع لمكافحة الجراد، ومنها مدرستنا. وقد ذهبنا يوماً إلى قرية الشيخ مؤنس بالقرب من يافا، وقبل أن نصل إلى القرية وجدنا خندقاً يبلغ طوله أكثر من مئتي متر، حيث صُفّ التلامذة في صف واحد على حافة الخندق الخلفية، وبيد كل واحد منهم مِنشّة من أغصان الأشجار يحركها على الدوام يمنة ويسرة لمنع صعود الجراد خارج الخندق. وكان الرجال يذهبون إلى الأرض البور المقابلة وبأيديهم مِنشّات كبيرة يسوقون بها صغار الجراد إلى الخندق حتى يمتلئ تقريباً، ومن ثم يردمونه"[٢١]

بيد أن ملاحظتي هذه بشأن غلبة الشخصي على العام في يوميات السكاكيني، لا تعني أن هذه اليوميات خلت من إشارات إلى أوضاع الناس المعيشية الصعبة خلال أعوام الحرب. فهو يشير في يومية تعود إلى ١٥ أيلول / سبتمبر ١٩١٤، إلى التغيّر الذي طرأ على عادات سكان القدس الذين علمتهم الحرب "الاقتصاد بل التقتير"، وهجران "أسباب السرور والتلهي"، كما علمتهم البساطة "في لباسهم ومعيشتهم."[٢٢] كما يشير، وخصوصاً خلال فترة إقامته في دمشق، إلى ظاهرة الغلاء التي تسببت بها الحرب، ولا سيما غلاء ثمن الخبز، والتي أدت إلى زيادة عدد الجياع في المدينة. ففي يوميته بتاريخ ١٩ شباط / فبراير ١٩١٨، كتب: "الأسعار مرتفعة جداً... لا أمرّ في الطريق في الليل أو النهار إلاّ رأيت أمهات يحملن أطفالاً يتسولن من المارين، ومع ضيق ذات يدي لا أستطيع إلاّ أن أمد يدي إلى جيبي وأعطيهم ما أقدر عليه."[٢٣] ويضيف في يومية لاحقة، في ١ آذار / مارس ١٩١٨: "لا يمرّ يوم إلاّ اشتد الغلاء. ثمن رطل الخبز من الجنس الثاني ثلاثون قرشاً نقوداً، وقس عليه سائر الحاجيات. الله يساعد أرباب البيوت، ولا أعجب إذا مات الناس جوعاً. يقال إن المجلس البلدي يدفن كل يوم عدداً ليس بقليل من ضحايا الجوع. ولا تمر في الطرق في الليل أو النهار إلاّ رأيت كثيرين من المتسولين من نساء وفتيات وأطفال ليس عليهم غير الجلد والعظم. يتضورون جوعاً ويولولون. مشاهد تمزق القلب وتستوكف الدموع."[٢٤] ويصف لنا، في يوميتين بتاريخ ١٦ و١٧ آذار / مارس ١٩١٨، كيف أن الجوع دفع عدداً غير قليل من الأطفال إلى أن يطوفوا في الأسواق "يتخطفون الخبز من الأفران"، ولا يمرون بفرن أو مطعم "إلاّ انتهبوا ما تصل إليه أيديهم، فوددت لو كنت ولداً في سنهم لأشترك معهم، فإن الجمود أمام هذا الغلاء الفاحش لدليل على موت الأمة."[٢٥]

ويتوسع السكاكيني في عرض إجراءات التعبئة العامة التي فرضتها الحكومة العثمانية على السكان، والتي زادت في تذمرهم ونقمتهم عليها. فقد استدعت إلى الخدمة العسكرية كل الذكور "من ابن الرابعة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين"، ثم من "ابن الرابعة والعشرين إلى الأربعين، من مسلمين ومسيحيين وإسرائيليين، متعلمين وغير متعلمين."[٢٦] وفرضت على الملة الأورثوذكسية، وهو منها، "ألف مضربية [نوع من الرداء] للعسكر"، أصابه منها مضربيتان دفع "ثمنهما ٢٢ غرشاً."[٢٧] كما أخذت تستولي على الدراجات "فلم يكن يمر أحد من باب الخليل على دراجته إلاّ أنزلوه وأخذوها منه"،[٢٨] وطلبت من الناس "أن يقدم كل واحد لها صندوق كاز فارغاً وصفيحتين فارغتين وكيسين من الخيش."[٢٩]

ويصف السكاكيني حالة الجنود العثمانيين المتردية، والذين لم تكن أوضاعهم أحسن

من أوضاع بقية السكان، فهم ـ كما يكتب في يومية بتاريخ ٢٧ آذار / مارس ١٩١٥ ـ "في حالة يرثى لها من رثاثة الثياب وغثاثة المأكل. ويقال إن كثيرين منهم يعترضون الناس في طريقهم، يطلبون إحسانهم ويطوفون على البيوت يطلبون أكلاً، وإذا قُدّم لهم طعام التهموه كأن لهم أياماً بدون أكل. يقال: إن الذين يشتغلون في الطرق منهم لا يأكلون غير العدس بدون خبز، وإن كثيرين منهم يفرّون من الجوع. وقد بلغني أن بعض الجنود يقفون في الطرق في الليل يسلبون المارّة ويتحرشون بالنساء، هذا فضلاً عن الأمراض المنتشرة في الجند والتي يُخشى أن تنتشر فيهم بسبب سوء المعيشة."[٣٠]

ويبدو أن السلطات العثمانية كانت تقمع بشدة الجنود الهاربين من الجيش، وتلجأ في أحيان كثيرة إلى عقوبة الإعدام بحقهم. ويصف لنا السكاكيني، في يوميته بتاريخ ٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٤، إعدام أحد الجنود الفارين من الجيش رمياً بالرصاص، فيكتب: "أعدموا اليوم صباحاً أحد الجنود رمياً بالرصاص لأنه فرّ من الجندية مرتين، وهو شاب في مقتبل العمر من قرى يافا. صدر الحكم بالإعدام عليه أمس، فأمسكوه اليوم وألبسوه ثوباً أبيض، وربطوه إلى شجرة على طريق مار الياس، وأوقفوا أمامه اثني عشر جندياً ببنادقهم، ومن ورائهم ثلاثون جندياً، حتى إذا لم يصبه الصف الأول أعدمه الصف الثاني، وكان الجنود كلهم واقفين يشهدون إعدامه ليعتبروا. ويقال إن أحد الجنود من الإسرائيليين أغمي عليه حين أطلق الجند الرصاص، ثم حملوا المعدم على أعواد ودفنوه، فتأثرتُ جداً لهذا الحادث. ويقال إنهم سيعدمون غيره قريباً."[٣١]

وصف بعض الأحداث التي رافقت عملية التعبئة والمعارك التي دارت حول القدس

يخصص خليل السكاكيني عدداً من يومياته لوصف بعض الأحداث التي رافقت عملية التعبئة العسكرية، ومنها وصول "العلم النبوي" إلى القدس وخروج المقدسيين لاستقباله، وزيارة جمال باشا حاكم سورية والحجاز وقائد الجيش الرابع للحرم القدسي، فيكتب في يومية بتاريخ ٢٠ كانون الأول / ديسمبر ١٩١٤، متندراً على استقبال الناس لـ "العلم النبوي" ما يلي: "لم تشرق الشمس إلاّ وقد خرجت القدس بأسرها لاستقبال العلم النبوي... فلما رآه الناس اندفعوا يقبلونه ويتبركون به وهم يزحمون بعضهم بعضاً ويضجون بالتهليل والتكبير... لم يكن العلم قديماً بل جديداً كأنه صُنع من عهد قريب جداً، فلم يشكّ أحد أنه لم يكن العلم النبوي، بل هو علم مرسل من الآستانة إلى مكة."[٣٢] وفي يومية بتاريخ ١٠ كانون الثاني / يناير ١٩١٥، يصف زيارة جمال باشا للحرم القدسي، فيكتب: "نزلنا إلى البلد فوقفت في مخزن إبراهيم شماس في السوق الجديدة، وكان جمال باشا على أهبة النزول إلى الحرم، وقد خرج المنادون يدعون المسلمين أجمعين إلى الصلاة والذي يتخلف عن الصلاة يُجازى. مرّ أعضاء المجلس البلدي يحملون سيفاً مفضضاً ليقدموه هدية إلى جمال باشا، وعند الظهر نزل جمال باشا في حاشيته وركبوا العربات وذهبوا إلى الحرم... وهو قصير القامة ممتلئ الجسم ذو لحية قصيرة على الشكل الفرنساوي، فجعل الناس الواقفون على جانبي الطريق يصفقون له بالأيدي ويهتفون: ليحيَ جمال باشا."[٣٣]

كما يصف خليل السكاكيني بالتفصيل المعارك التي كانت تدور على أبواب مدينة القدس بين القوات العثمانية والإنجليزية، فيكتب في يومية بتاريخ ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧ أنه منذ تسعة أيام أخذت الحكومة العثمانية تنسحب من القدس، لأن الجيش الإنجليزي أصبح على الأبواب. ويضيف في يومية بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧: "استيقظنا على أصوات المدافع تدوّي من بعيد ولعلها في الجهة الغربية، ثم لم تلبث أن ظهرت طيارة من بعيد في الجهة التي تدوّي فيها أصوات المدافع. وفي الوقت ذاته ظهرت ثلاث طيارات في سماء القدس ووجهتها طريق نابلس." ويعود ليكتب في يومية بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧: "بعد فترة قصيرة عادت المدفعية ليلة أمس إلى الضرب، واستمرت الليل كله... وما لمع الفجر حتى أخذت تشتد، فصعدنا إلى الغرفة العليا وشاهدنا ما طالما سمعنا به أو رأيناه مصوراً في الجرائد الحربية. كنا نرى القنابل تتساقط بالقرب من قرية النبي صموئيل، فيتصاعد دخانها كقطع الغيوم ويلمع شرارها... وعند الظهر ظهرت طيارة ألمانية، ثم ما لبثنا أن رأينا طيارتين إنجليزيتين لحقتا بها وجعلت الثلاث يتحاربن في الهواء، فكان منظراً جميلاً، ثم لاذت الطيارة الألمانية بالفرار."[٣٤]

ويحدثنا في يوميته بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧ عن إمساك القوات العثمانية ببعض الأسرى من الجيش الإنجليزي: "نحو عشرة ـ كما كتب ـ ثلاثة منهم إنجليز، والباقي منهم هنود، والإنجليز منهم يلبسون البنطلونات القصيرة مثل البنطلونات التي يلبسونها في لعب الطابة بالرجل [كرة القدم]."[٣٥]

القسم الثاني: معارضة اشتراك الدولة العثمانية بالحرب

لقد كان خليل السكاكيني يعارض دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، ويرى أن الجيش العثماني لا يملك القدرات التي تمكّنه من منازلة جيوش دول حديثة، مثل إنكلترا وفرنسا وروسيا. فعندما سمع في ١٨ أيلول / سبتمبر ١٩١٤، أن الحكومة العثمانية أرسلت قوات كبيرة إلى حدود مصر، وأنها تخطط للاستيلاء على قناة السويس، اعتبر أن هذا "تهوّر" من الحكومة العثمانية. وبعد أن أعلنت الدولة العثمانية في مطلع تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٤ دخولها الرسمي في الحرب، أشار في يومية بتاريخ ٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٤، إلى أن كثيرين كانوا «يتمنون لو لم تدخل في حرب الآن"، وذلك إلى أن تستكمل "نموها الطبيعي"، لأنه ما زال ينقص الجندية العثمانية أشياء كثيرة، منها: "١ ـ لا يزال الجانب الأكبر من ضباطها من الطَّرز القديم؛ ٢ ـ لا تزال بلادها قليلة الحصون والقلاع الحديثة وقليلة المواصلات؛ ٣ ـ لا يزال سكانها وجندها قريبي العهد بالاستبداد، وزمان الجهل والانحطاط؛ ٤ ـ لا يزال الجهل مخيماً على أكثر بلادها، ولا تزال الوطنية ضعيفة، ولا يزال الشقاق مستحكماً بين عناصرها المختلفة."[٣٦]

كره الحرب وتخلّف أوضاع العثمانيين والعرب

في الواقع، فإن خليل السكاكيني كان يكره الحرب بغض النظر عن أسبابها، ويتحسب من الويلات التي تجرها على الناس. وكان يعتقد، في الوقت نفسه، أن العثمانيين، والعرب مكوّن من مكوّناتهم، غير مهيئين، بسبب تخلّف أوضاعهم، لخوض غمارها.

ففي يومية كتبها في ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧، عبّر عن كرهه للحرب بصورة عامة بقوله: "نعم لا أحب الحرب ولا أرضى عنها مهما كانت أسبابها ونتائجها، وإذا لم يكن بدٌ منها فعلى الأقل لا أحب أن أقف إلاّ في جانب الحق على الباطل. أي لا أحب أن أكون في جانب العثمانيين لأني عثماني، ولا في جانب الإنجليز لأني أعجب بهم، بل أحب أن أكون في جانب الحق مع العثمانيين أو عليهم."[٣٧]

وعند تطرقه إلى علامات تخلّف الأمم الإسلامية عامة، والأمة العربية خاصة، ركّز على ثلاث منها، هي: الاتكال على الحكومات اتكالاً كلياً؛ الاسترسال في الاعتماد على الله والتمسك بمظاهر التدين بدلاً من التمسك بروح الدين والعيش بموجب تعاليمه العالية؛ تخلّف "المبادئ الأدبية"، ومن مظاهره تخلّف وضع المرأة.

ففي يومية بتاريخ ٢٠ آذار / مارس ١٩١٨، أشار إلى أن من علامات تخلّف هذه الأمم "أنها تنتظر من حكوماتها أن تعمل لها كل شيء"، و"تسترسل في الاعتماد على الله، وتنتظر أن يتم لها كل شيء بواسطة أعجوبة من السماء"، معتبراً أن الحكومات والأديان "تبطل الهمم وتثبط العزائم وتشل الأعصاب وتخدر الحواس وتعوّد الإنسان عدم الاعتماد على نفسه."[٣٨] كما أن هذه الأمم متخلفة في "المبادئ الأدبية"، التي "لا تستطيع أن تقبلها كلها لأنها لا تلتئم جميعها مع مبادئ القرآن"، وهو ما يتجلى في حالة المرأة. فالرجل في الشرق لا يزال "هو المسؤول عن شرف امرأته وأخته وابنته"، ولذلك فهو "يدّعي أن له الحق في أن يكون المهيمن عليهن في حركاتهن وسكناتهن. لا يعاملهن إلاّ بالعنف والضغط." ومن ناحية أُخرى، فما دام الدين الإسلامي يجيز الطلاق وتعدد الزوجات "فكيف تأمن الفتاة المسلمة أن زوجها لا يطلقها أو يتزوج عليها؟" وأضاف: "لو كنت مسلماً لزهّدت أختي أو ابنتي في الزواج، إلى أن يقوم من رجال الدين مَن يثبت أن الطلاق وتعدد الزوجات ممنوعان قطعياً."[٣٩]

رفض الدعوة إلى "الجهاد الديني"

انتقد خليل السكاكيني بشدة قيام الدولة العثمانية بإعلان الحرب على دول الاتفاق الثلاثي تحت راية "الجهاد الديني"، معبّراً عن تخوفه من أن يتسبب ذلك بإرجاع الناس "إلى زمان الحروب الصليبية"، ولا سيما أن الأمة "جاهلة" ـ كما كتب ـ وأن هناك من أصحاب العمائم "مَن يمدّ هذه الأمة الجاهلة المسكينة في طغيانها، ويتحكم في أميالها وعواطفها ويقودها إلى الوراء. وفي ذلك ما فيه من الخطر والخراب." وأشار إلى أن الحكومة العثمانية أوهمت الشعب، من وراء رفع هذه الراية، بـ "أن العالم الإسلامي سيثور كله"، وأشاعت بين صفوفه أن ألمانيا "اعتنقت الدين الإسلامي وأنها ستقاسم تركيا كل البلاد التي ستفتحها"، وأن إمبراطورها "سُمّي محمداً، وأنه سيذهب إلى الحج"، الأمر الذي دفع الفلاحين الذين كانوا يتوافدون إلى القدس للانضمام إلى الجيش إلى أن يهتفوا في أهازيجهم: "غليوم يا خالنا، بسيفك ناخد ثارنا."[٤٠]

وبعد أن استغرب خليل السكاكيني كيف أن الدولة العثمانية تدعو إلى "الجهاد الديني" وهي "تحارب مع دولتين مسيحيتين جنباً إلى جنب"، وتمتلك جيشاً "مؤلفاً من جميع المذاهب"، ولا تقتصر الخدمة العسكرية فيه على المسلمين، بل تشمل المسيحيين واليهود

أيضاً، خلص إلى أن الدعوة إلى الجهاد الديني اليوم "لا يُقصد بها إلاّ الدفاع عن العنصر التركي، وتأييد سلطته، لا الدفاع عن الدين الإسلامي"، وهي "قد تضر بالعالم الإسلامي أكثر من غيره، لأنها قد تدعو الدول المسيحية إلى دعوة دينية مثلها"، فضلاً عن أنها "قد تصرف العالم الإسلامي عن اتخاذ الأسباب الحقيقية للتقدم" في عصر "انتشرت فيه المدنية الأوروبية وتنبهت العاطفة الوطنية، ونزع كل عنصر إلى الاستقلال بنفسه."[٤١]

ماذا سيصير بعد الحرب وماذا سيحل بالقدس وفلسطين؟

لقد كان سؤال ماذا سيصير بعد انتهاء الحرب، وماذا سيكون مصير فلسطين؟ من أهم الأسئلة التي شغلت بال خليل السكاكيني على مر أعوام الحرب؛ فهو، ومنذ ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٤، طرح على نفسه سؤال ماذا سيصير بعد الحرب؟ وأجاب: "قد تنتشر المبادئ الاشتراكية ويتآخى البشر، ويُرجعون السيوف إلى أغمادها إلى الأبد... كما قد تقوى في البشر الأميال الحربية، وتنزع بهم نفوسهم إلى مجد السيف، ويرجعون إلى عهد الغزوات والفتوحات، فتزحف أمم على أمم، [و]تتصلب القلوب وتتحجر العواطف، فلا يعود معنى للحنان والرحمة، ولا يعبأ بعد ذلك بحقوق وعهود."[٤٢]

وفي يومية بتاريخ ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٤، كتب: "من المنتظر أن بعض الأمم تهدم عروش ملوكها، وتقيم على أنقاضها جمهوريات تحكم أممها بتعقل ورزانة.. وأن الأمم المستعمرة توسّع حقوق مستعمراتها، وتحسّن سياستها لتأمن انتفاضها عليها... أو تضيّق عليها الخِناق، فلا تقوم لها قائمة فيما بعد"[٤٣] وعاد، قبل نهاية الحرب بفترة قصيرة، إلى السؤال نفسه، فكتب في يومية بتاريخ ٥ نيسان / أبريل ١٩١٨: "إذا رجع الناس بعد هذه الحرب إلى ما كانوا عليه قبلها، إلى حكومات مستبدة وشعوب كالأغنام، إلى رؤساء دين منافقين، ورجال سياسة طائشين، وأرباب سيف قساة، وأغنياء لصوص، وشعوب جاهلة خاملة بائسة شقية، فيا ضيعة الدماء."[٤٤]

وقد بيّن خليل السكاكيني في ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧، أي عندما أصبحت القوات الإنجليزية على أبواب القدس، موقف سكان المدينة المتباين من مستقبل مدينتهم خاصة، ومن مستقبل فلسطين عامة، وظهر، ممّا كتبه، أن النزعة الاستقلالية العربية لم تكن قد تجذرت بعد بين صفوف هؤلاء السكان الذين اختلفت آراؤهم في مصير القدس أو مصير فلسطين: "فالبعض يقول إنها ستصير إنجليزية لأن الإنجليز هم الفاتحون، والبعض يقول إنها ستُلحَق بمصر، والبعض إنها ستصبح حرة. البعض يتأسفون على العهد العثماني ويتخوفون من العهد الجديد، لأنهم ألفوا القديم ولم يألفوا الجديد... والبعض من المسلمين من الطراز القديم يتأسفون على تقلص ظل العثمانية عن هذه البلاد، لأنهم يعتقدون أن ذهابها من هذه البلاد ضربة على الإسلام، وأن دخول الإنجليز يعزز النصرانية ويعلي شأن الصليب. كما أن هناك فريقاً من المسيحيين الصعاليك مَن ينتظر مجيء الإنجليز لتعتزّ النصرانية، ومتى جاء الإنجليز شمخوا بأنوفهم وصعّروا خدودهم، وقد كانوا بالأمس أذل من نَقَد... ومهما يكن الأمر، فإن هذه الأيام أهم أيام فلسطين التاريخية، وقد مرّت أجيال عليها وهي تنتظر مثل هذه الأيام."[٤٥]

خلاصات

تكشف لنا اليوميات التي كتبها خليل السكاكيني، خلال أعوام الحرب العظمى، عن معاناة مثقف حديث، تبنّى أفكاراً تتجاوز حدود مجتمعه التقليدي، وطمح ـ نتيجة تأثره بنيتشه على الأغلب ـ إلى أن تكون له رسالة في الحياة، فجاءت الحرب ومآسيها لتشكّل صدمة له، جعلته يعيش تناقضاً بين حبه الحياة، من جهة، وازدرائه بها، من جهة ثانية، وأدت إلى إعلاء شأن انتمائه الإنساني.

فمع أن الحرب لم تمنعه ـ كما يتبيّن من العديد من يومياته ـ من الاستمرار في ممارسة رياضته اليومية، والاستمتاع باستحماماته الصباحية، والشعور بالفرح وهو يتابع نمو ولده سَري، والمواظبة على السهر مع أصدقائه، إلاّ إنها ـ أي هذه الحرب نفسها ـ علمته، كما يذكر في يوميات أُخرى، "الاستخفاف بالمصائب والازدراء بالحياة"، وزادت "ضجره من الحياة"، فـ "لا أجالس أحداً ـ كما كتب في يومية تعود إلى آذار / مارس ١٩١٥ ـ إلاّ رأيت نفسي غريباً عنه، ولا يقع نظري على شيء إلاّ اشمأزت نفسي منه."[٤٦] وفي يومية بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧، يعود إلى ضجره وضيق خلقه في هذه الحياة، وخصوصاً بعد أن نفد التبغ من عنده، فيكتب: "أثبت هذه الملاحظة هنا لتعجب [أيها القارئ] من غرائب عقول البشر. هذه الأيام أهم أيام التاريخ، والجيوش تتفانى هجوماً ودفاعاً والأمم بأجمعها شاخصة بأبصارها مشرئبة بأعناقها لترى نتيجة هذه الحرب الطامة... والرجل مثلي تضيق أخلاقه ويتولاه الضجر لأنه أصبح ذات يوم وليس عنده تنباك!!... فليس ضجري من عدم التنباك أكثر غرابة من قيام الأمم بعضها على بعض."[٤٧]

أمّا إعلاء شأن انتمائه الإنساني على كل انتماء آخر فهو بارز في كثير من يومياته، وفي كونه لم يتطرق سوى بصورة عابرة إلى مسألتين عالجهما باستفاضة قبل اندلاع الحرب العظمى وفي أعقابها: الأولى تتعلق بما سمّاه، قبل الحرب، "تنبّه الشعور الوطني في الأمة العربية"، والثانية تتعلق بمخاطر الحركة الصهيونية على فلسطين. فتعليقاً على محاولة السلطات العثمانية إبعاده عن القدس، بتهمة أنه "مسيحي" و"وطني" كتب، ما بين ٢٨ آذار / مارس و٤ نيسان / أبريل ١٩١٥، ما يلي: "أنا لست مسيحياً ولا بوذياً ولا مسلماً ولا يهودياً، كما أني لست عربياً ولا إنجليزياً ولا فرنسوياً ولا ألمانياً ولا روسياً ولا تركياً، بل أنا فرد من أفراد هذه الإنسانية وشعاري قول الشاعر:

إذا كان أصلي من تراب فكله بلادي وكل الناس فيها أقاربي

قُدّر لي أن أعيش في هذا الوسط، فأنا أعمل على إنهاضه وبث الحياة فيه... إذا كانت الوطنية في حب الحياة فأنا وطني، وأمّا إذا كانت في تفضيل دين على آخر ولغة على أُخرى ومدنية على مدنية ومصالح على مصالح فلست وطنياً والسلام."[٤٨]

كما كتب في ٢ كانون الأول / ديسمبر ١٩١٧ قبل أيام قليلة من دخول الإنجليز إلى مدينة القدس: "لا يهمني مجيء الإنجليز إلى هذه البلاد... [فأنا] أعدّ نفسي وطنياً أينما كنت، وأشتغل في ترقية الوسط الذي أنا فيه... لا أشتغل إلاّ في خدمة العلم والعلم لا وطن له.. وما هي الوطنية؟ إذا كانت الوطنية أن يكون الإنسان صحيح الجسم قوياً نشيطاً مستنير العقل

حسن الأخلاق أنيساً لطيفاً فأنا وطني، وأمّا إذا كانت الوطنية تفضيل مذهب على مذهب وأن يعادي الإنسان أخاه، إذا لم يكن من بلاده أو مذهبه، فلست وطنياً."[٤٩] ■

المصادر

١ محمد عزة دروزة، "مذكرات محمد عزة دروزة" (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، المجلد الأول.

٢ عمر الصالح البرغوثي، "المراحل" (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١).

٣ Noha Tadros Khalaf, *Les mémoires de Issa al-Issa jounaliste et intellectuel palestinien (1878-1950)* (Paris: Karthala, Institut Maghreb-Europe, 2009).

٤ سليم تماري، "عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين: يوميات جندي مقدسي عثماني ١٩١٥ ـ ١٩١٦" (بيروت؛ القدس: مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ مؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٨).

٥ لمزيد من التفصيلات عن سيرة حياة خليل السكاكيني، يمكن الرجوع إلى:
فوزي الأسعد، "خليل السكاكيني، ١٨٧٨ ـ ١٩٥٣" (نابلس، الجمعية العلمية، ١٩٩٤)؛ يوسف أيوب حداد، "خليل السكاكيني: حياته، مواقفه وآثاره" (بيروت: الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٨١)؛ عصام محمد الشنطي، "خليل السكاكيني اللغوي" (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧)؛ بهجت صبري، "خليل السكاكيني مؤرخاً"، في: "خليل السكاكيني بين الوفاء والذكرى"، إعداد نواف عبد حسن (الطيبة [فلسطين]: مركز إحياء التراث العربي، ١٩٩١) ص ٩٤ ـ ١١١؛ عيسى الناعوري، "خليل السكاكيني أديباً ومربياً" (عمّان: دار الكرمل، ١٩٨٥).

٦ صدرت يوميات خليل السكاكيني في ثمانية كتب، ما بين سنتَي ٢٠٠٣ و٢٠١٠، في مدينة رام الله، عن مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، وقام بتحريرها أكرم مسلّم، ونُشرت بعنوان: "يوميات خليل السكاكيني: يوميات. رسائل. تأملات. الكتاب الأول: نيويورك. سلطانة. القدس، ١٩٠٧ ـ ١٩١٢" (٢٠٠٣)؛ الكتاب الثاني: "النهضة الأرثوذكسية. الحرب العظمى. النفي إلى دمشق، ١٩١٤ ـ ١٩١٨" (٢٠٠٤)؛ الكتاب الثالث: "اختبار الانتداب وأسئلة الهوية، ١٩١٩ ـ ١٩٢٢" (٢٠٠٤)؛ الكتاب الرابع: "بين الأب والابن: رسائل خليل إلى سري في أميركا، ١٩٣١ ـ ١٩٣٢" (الجزء الأول، ٢٠٠٥)؛ الكتاب الخامس: "بين الأب والابن: رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أميركا، ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤" (الجزء الثاني، ٢٠٠٦)؛ الكتاب السادس: "بين الأب والابن: رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أميركا، ١٩٣٥ ـ ١٩٣٧" (الجزء الثالث، ٢٠٠٦)؛ الكتاب السابع: "موت سلطانة (١٩٣٩ ـ ١٩٤١)" (٢٠٠٩)؛ الكتاب الثامن: "الخروج من القطمون، ١٩٤٢ ـ ١٩٥٢" (٢٠١٠).

٧ أكرم مسلّم، "كأنه يحرس أرض الحكاية"، في: "يوميات خليل السكاكيني: يوميات. رسائل. تأملات. الكتاب الأول: نيويورك. سلطانة. القدس"، تحرير أكرم مسلم (رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٣)، ص ٤٩.
٨ محمود شقير، "خليل السكاكيني.. مجنون سلطانة"، في: "يوميات خليل السكاكيني: يوميات. رسائل. تأملات. الكتاب السابع: موت سلطانة (١٩٣٩ ـ ١٩٤١)"، تحرير أكرم مسلم (رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٩)، ص ١٨.
٩ مسلّم، مصدر سبق ذكره، ص ٥١.
١٠ المصدر نفسه، ص ٥٠.
١١ شقير، مصدر سبق ذكره، ص ٩.
١٢ زكريا محمد، "أبناءُ لُغته"، في: "يوميات خليل السكاكيني: يوميات. رسائل. تأملات. الكتاب السادس: بين الأب والابن: رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أميركا، ١٩٣٥ ـ ١٩٣٧"، تحرير أكرم مسلم (رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٦)، ص ١١ ـ ١٢.
١٣ سليم تماري، "الحب والجوع في نيويورك، هجرة السكاكيني الأولى ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨"، في: "يوميات خليل السكاكيني: يوميات. رسائل. تأملات. الكتاب الأول: نيويورك. سلطانة. القدس، ١٩٠٧ ـ ١٩١٢"، تحرير أكرم مسلم (رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٣)، ص ٢٩.
١٤ شقير، مصدر سبق ذكره، ص ٧.
١٥ المصدر نفسه، ص ١٥ ـ ١٦.
١٦ مسلّم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩.
١٧ السكاكيني، "النهضة الأرثوذكسية..."، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠١.
١٨ المصدر نفسه، ص ١٣٩.
١٩ المصدر نفسه، ص ١٥٦.
٢٠ تماري، "عام الجراد..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨، ١٨٤، ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٢٧.
٢١ محمود الأطرش (المغربي)، "طريق الكفاح في فلسطين والمشرق العربي، مذكرات قائد شيوعي (١٩٠٣ ـ ١٩٣٩)"، إعداد ماهر الشريف (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٥)، ص ٢٩ ـ ٣٠.
٢٢ السكاكيني، "النهضة الأرثوذكسية..."، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧ ـ ٩٨.
٢٣ المصدر نفسه، ص ٢٣٩.
٢٤ المصدر نفسه، ص ٢٤٧.
٢٥ المصدر نفسه، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٢.
٢٦ المصدر نفسه، ص ١١٦، ١٥٠.
٢٧ المصدر نفسه، ص ١٠٢.
٢٨ المصدر نفسه، ص ١١٦.
٢٩ المصدر نفسه، ص ١٣٢.
٣٠ المصدر نفسه، ص ١٥٨.

٣١ المصدر نفسه، ص ١٢٢.
٣٢ المصدر نفسه، ص ١٤٠ ـ ١٤١.
٣٣ المصدر نفسه، ص ١٤٧.
٣٤ المصدر نفسه، ص ١٧١، ١٧٤ ـ ١٧٥.
٣٥ المصدر نفسه، ص ١٧٧.
٣٦ المصدر نفسه، ص ٩٩، ١١١، ١١٩.
٣٧ المصدر نفسه، ص ١٧١ ـ ١٧٣.
٣٨ المصدر نفسه، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
٣٩ المصدر نفسه، ص ٢٨٨، ٣٥٦.
٤٠ المصدر نفسه، ص ١٠٨ ـ ١٠٩، ١١٩ ـ ١٢١.
٤١ المصدر نفسه، ص ١١٩، ١٣٢.
٤٢ المصدر نفسه، ص ١٢٥.
٤٣ المصدر نفسه، ص ١٢٦.
٤٤ المصدر نفسه، ص ٢٨١.
٤٥ المصدر نفسه، ص ١٦٨.
٤٦ المصدر نفسه، ص ١٥٥.
٤٧ المصدر نفسه، ص ١٧١.
٤٨ المصدر نفسه، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.
٤٩ المصدر نفسه، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

تاريخ فلسطين في طوابع البريد

مجموعة

نادر خيري الدين أبو الجبين

طبعة ثانية مزيدة ومحدثة

٤٩٣ صفحة ١٠٠ دولار